

الطب النفسي الإيقاعي التطوري (174)

القصاص: مغارة الضياع ووعود الإبداع

تنوعات مفاهيم القصاص

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD190317.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2017/03/19

السنة العاشرة - العدد: 3487



مقدمة:

المتن:

بالرغم من أن المفهوم السلوكي - وهو ما قدمناه في نشرة أمس - بدأ أقرب المفاهيم تحقيقاً للتواصل والاتفاق إلا أن الممارس الكلينيكي يدرك مدى عجز هذا المفهوم عن الإلمام بأبعاد دينامية وبيولوجية ضرورية في مسيرة الفهم والعلاج، وأخيراً فإن تحديد المفاهيم للشرح لا يعنى بتاتا تحديدها في الممارسة، فالتداخل بينهما بغير حدود، والفرق كذلك.

تعقيب وتحديث (2017):

يستحسن أن نضيف الآن أن هذا المفهوم السلوكي هو أيضا أقرب ما يكون إلى التعريف التقليدي لما هو فصام في أغلب أو كل دلائل التقييم المتاحة، لكننا نلاحظ أن المقتطف الحالي انتهى إلى: التنبية بأن تحديد المفاهيم لا يعنى بتاتا تحديدها في الممارسة، بما في ذلك من إشارة إلى أن الإحاطة بهذه المفاهيم الأخرى ضرورية، خاصة على مسار العلاج وهي تكمل بالضرورة "المفهوم السلوكي الظاهر" وأيضا المفهوم المساري والمالي (الذي سوف يأتي ذكره حالا)، هذا ما تأكد لي حين رجعت إلى نظيري اللاحق فوجدت أنني أدرجت حديثا معظم المفاهيم الهادفة للعلاج فيما يسمى "الصياغة النفسمرضية" خاصة "النفسمرضية التركيبية"، وليس مع أي تصنيف أو تشخيص محدد، ذلك لأن الصياغة بكل مستوياتها هي البعد الأولي بالتركيز من وجهة نظر العلاج وهي أهم من مجرد لصق لافتة التشخيص (أنظر ندوة "مستويات الصياغة في مقابل الاختزال بالتشخيص وعلاقة ذلك بالتخطيط العلاجي (1) 17/3/2017")

ثم نواصل تعداد المفاهيم الأخرى لما هو "فصام":

المتن:

ثانياً: المفهوم المساري والمالي للفصام "The Course and Outcome" concept.

منذ نشأ مفهوم الفصام وهو مرتبط بمساره وماله، وكما أشرنا فقد حتم "كريبلين" لتشخيصه، تدهور الشخصية، وتبنت هذه الفكرة بحماس حتى الآن المدرسة الفرنسية، والحق يقال أن شكاً يثور بلا تردد عند أي فاحص

أن المفهوم السلوكي بدأ أقرب المفاهيم تحقيقاً للتواصل والاتفاق إلا أن الممارس الكلينيكي يدرك مدى عجز هذا المفهوم عن الإلمام بأبعاد دينامية وبيولوجية ضرورية في مسيرة الفهم والعلاج

أن هذا المفهوم السلوكي هو أيضا أقرب ما يكون إلى التعريف التقليدي لما هو فصام في أغلب أو كل دلائل التقييم المتاحة

التنبية بأن تحديد المفاهيم لا يعنى بتاتا تحديدها في الممارسة، بما في ذلك من إشارة إلى أن الإحاطة بهذه المفاهيم الأخرى ضرورية، خاصة على مسار العلاج وهي تكمل بالضرورة "المفهوم السلوكي الظاهر" وأيضا المفهوم المساري والمالي

أنني أدرجت حديثا معظم المفاهيم الهادفة للعلاج فيما يسمى "الصياغة النفسمرضية" خاصة "النفسمرضية التركيبية". وليس مع أي تصنيف أو تشخيص محدد



منذ نشأ مفهوم الفصام وهو مرتبط بمساره ومآله، وكما أشرنا فقد حتم "كريبلين" لتشخيصه، تدهور الشخصية، وتبنت هذه الفكرة بحماس حتى الآن المدرسة الفرنسية

الفصام ما زال - مهما حاولنا التعمية بمختلف الآراء من أول بلويلر حتى زاس - هو كصولة الشباب اللسجة the hasty youth aging. أوعته المراهقة المبكر adolescent dementia. وعلى ذلك فإن كلمة فصام ما زالت تعنى عند سماعها ومستعملها تدهور مبكر وسريع فى القدرات العقلية.

أن التسليم بهذا المفهوم المرتبط بالمآل outcome أكثر من ارتباطه بالعملية المرضية والمسار هو المبرر للنظرة التشاؤمية البشعة عن ماهية الفصام

على أن بعدا آخر غير العته المبكر وتدهور الشخصية قد بدأ يفرض نفسه بالنسبة لمسار عملية الفصام وهو ما أصبح شائعا - وخاصة بعد استعمال العقاقير المهدئة الجسيمة - من نتائج العملية الفصامية فى صورة اضطراب فى الشخصية مكافئ للفصام فى غايته وتركيبه وديناميته، ولكنه خال من الأعراض الفصامية الصريحة

إن إجهاض العملية الفصامية بعد بدايتها لا يمر بسلام، ففى حين أنه قد يحول دون مواصلة المسيرة إلى مصير أخطر وأكثر تدهورا وهو الفصام الصريح فإنه مادام إجهاضا فهو يعنى أن عملية

وممارس يذهب إلى تشخيص حالة ما على أنها فصام، إذا ما انتهت النوبة دون آثار تدهورية فى صورة ندب Scar فى الشخصية، الأمر الذى يؤكد أن مفهوم الفصام مرتبط فعلا بمساره ومآله، وكأن الفصام من زاوية نظر هذا المفهوم لا يكون فصاما إلا إذا شوّه الشخصية بندب يسرع من تدهورها إلى السلبية والضمور، فالفصام ما زال - مهما حاولنا التعمية بمختلف الآراء من أول بلويلر حتى زاس - هو كهولة الشباب اللسجة the hasty youth aging، أوعته المراهقة المبكر adolescent dementia، وعلى ذلك فإن كلمة فصام ما زالت تعنى عند سماعها ومستعملها تدهور مبكر وسريع فى القدرات العقلية.

تعقيب وتحديث (2017):

أعتقد أن التسليم بهذا المفهوم المرتبط بالمآل outcome أكثر من ارتباطه بالعملية المرضية والمسار هو المبرر للنظرة التشاؤمية البشعة عن ماهية الفصام، وقد يمكن القبول به من حيث المبدأ للحد منه والعمل على تجنبه فى مقابل التركيز على العملية الجارية ومحاولة توجيه المسار إلى أى احتمال إيجابى آخر، أما التسليم له باعتباره حتمية مآل الفصام فهذا ما ننبه إلى ضرورة مراجعته.

المتن: (2)

على أن بعدا آخر غير العته المبكر وتدهور الشخصية قد بدأ يفرض نفسه بالنسبة لمسار عملية الفصام وهو ما أصبح شائعا - وخاصة بعد استعمال العقاقير المهدئة الجسيمة - من نتائج العملية الفصامية فى صورة اضطراب فى الشخصية مكافئ للفصام فى غايته وتركيبه وديناميته، ولكنه خال من الأعراض الفصامية الصريحة، وهذا المسار الذى يتزايد وصفه حاليا إنما يشير عادة إلى نوع من تدهور الشخصية وتوقف النمو كنتيجة للعملية الفصامية، سواء ظهرت سلوكيا أو لم تظهر فى صورة اضطرابات الشخصية بدلالاتها على توقف النمو.

تعقيب وتحديث (2017):

هذه الفقرة تحتاج لمناقشة لتوضيح ما وراءها ذلك أنه خلال الثلاثين سنة ما بين كتابتها والآن اتضح لى ما كنت أرمى إليه بها مما يحتاج إلى مزيد من الايضاح كما يلى:

إن إجهاض العملية الفصامية بعد بدايتها لا يمر بسلام، ففى حين أنه قد يحول دون مواصلة المسيرة إلى مصير أخطر وأكثر تدهورا وهو الفصام الصريح فإنه مادام إجهاضا فهو يعنى أن عملية التحريك التى بدأت قد توقفت بدفاعات صلبة متجمدة، صحيح أنها حالت دون التمداد إلى الفصام الصريح لكنها أيضا راحت تحول دون حركية تواصل النمو، ودون إتاحة فرص الابداع فى نفس الوقت، وهذا ما رحى أكرهه - بعد ذلك وحتى الآن - حين رحى أميز الأزيمة المفترقية كبدية مستقلة ينبغى أن تحل محل ما نسميه بداية الفصام، حيث أنها يمكن أن تتوجه إلى حفز النمو أو الابداع الصريح (النمو) أو إلى اضطراب الشخصية مرورا بمرحلة الفصام أو دون ذلك، وهذا يتأكد بوجود فئة من اضطرابات الشخصية تدرج تحت عنوان : اضطراب الشخصية بعد الذهان (عامة) ويعد الفصام أكثر.

كل ذلك سبق أن تناولناه مرارا فى حديثنا المكرر عن حالات الوجود المتبادلة وعن مسارات الأزيمة المفترقية (مثلا: انظر نشرات) نشرة 2016-8-13 (إلى) نشرة 2016-8-21 (و) نشرة 2016-6-25.

المتن:

ثالثاً: المفهوم الدينامي للفصام The dynamic concept

إن كلمة دينامي نفسى Psychodynamic غالباً ما ترتبط بالتحليل النفسى بشكل مباشر أو غير مباشر، وإن كان التحليل النفسى لم يدع - على الأقل في بدايته - أنه حل مشكلة مفهوم الفصام، فإننا لا بد أن نشير هنا إلى منظوره من حيث أنه يتحدث عنه غالباً تحت اسم العصاب النرجسي Narcissistic Neurosis.



والذى يهمنى في هذا التقديم دون الدخول في التفاصيل التثبينية والنفسجسية هو ما يقابل ذلك المفهوم الدينامي في الصورة الكينيكية، فقد ذهب البعض إلى اعتبار العلامة الأساسية في الفصام هي الشخْصَنَة المطلقة Absolute Personification التي تلغى العالم في النهاية إلغاءً، لحساب المبالغة في الإسقاط، كما أنها تلغى العلاقة بالآخر تماماً فلا يصبح الآخرون بالنسبة لمثل هذا المريض إلا ما يصنعونه له، أو يريدونهم أن يكونوا، أى يصبحون مجرد أشخاص ذاتية، Self Objects ومن هذا المنطلق النرجسي الكامل يتوازى الفصام دينامياً بشكل ما مع اضطرابات نوع من الشخصية السيكوباتية بوجه خاص.

على أن للمفهوم الدينامي أبعاداً أخرى، بلغات أخرى حسب المدرسة النفسية الشارحة لها فمن وجهة نظر "مدرسة العلاقة بالموضوع Object Relation Theory" فإن الفصام يعنى "أن الأنا الناكس" قد نجح في الاتجاه بالوجود إلى وراء على حساب أى نشاط واقعي ناضج، وهذا النجاح مصاحب بإلغاء الآخر أيضاً فهو يتمادى إلى التثبيت عند الموقف الشيزيدي (حيث لا موضوع).

أما التحليل التفاعلاتي Transactional Analysis، فإن الفصام يعنى أن حالة الأنا الطفلية هي الطاغية إلا أنها مشوشة Confused Child Ego State مع وجود بقايا الأنوات الأخرى (الفتى خاصة Adult) متفرقة ومنتشرة في الوساد الشعوري نفسه، وهذا المفهوم هو أكثر اقتراباً من صورة الفصام الكينيكية التقليدية عن مفهوم التحليل النفسى الكلاسي،

تعقيب وتحديث (2017):

في تنظيري اللاحق من خلال الممارسة رأيت أن أحلّ منظور النفسراضية التركيبية، في المرتبة الأولى قبل وأهم من منظور النفسراضية السببية، والتحليلية، وبالتالي أصبح المفهوم الدينامي التحليلي أقل حضوراً لتفسير نفسراضية الفصامي، اللهم إلا فيما يتعلق بالتعبير الذى وصفه "سليفانو أريتي" وهذا نصه "النكوص الغائى المتمادى (3)" وهو مفهوم يربط بين هذا المنطلق الدينامي والمفهوم الغائى (والتطوري) الذى سنتعرض له بعد قليل.

التعريف الذى بدأت قد توقفت بدفاعات طلبة متجمدة

حين رحمت أميز الأزمة المفترقة كبداية مستقلة ينبغى أن تحل محل ما نسميه بداية الفصام، حيث أنها يمكن أن تتوجه إلى حيز النمو أو الأبداع الصريح (النمو) أو إلى اضطراب الشخصية موروأ بمرحلة الفصام أو دون ذلك

بتأكد بوجود فئة من اضطرابات الشخصية تدرج تحت عنوان : اضطراب الشخصية بعد الذهان (عامة) وبعده الفصام أكثر

دون الدخول في التفاصيل التثبينية والنفسجسية هو ما يقابل ذلك المفهوم الدينامي في الصورة الكينيكية، فقد ذهب البعض إلى اعتبار العلامة الأساسية في الفصام هي الشخْصَنَة المطلقة Absolute

Personification التي تلغى العالم في النهاية إلغاءً، لحساب المبالغة في الإسقاط، كما أنها تلغى العلاقة بالآخر تماماً فلا يصبح الآخرون بالنسبة لمثل هذا المريض إلا ما يصنعونه له، أو يريدونهم أن يكونوا

من هذا المنطلق النرجسي الكامل يتوازى الفصام دينامياً بشكل ما مع اضطرابات نوع من الشخصية السيكوباتية بوجه خاص

أن للمفهوم الدينامي أبعاداً أخرى، بلغات أخرى حسب المدرسة النفسية الشارحة لها فمن وجهة نظر "مدرسة العلاقة

المتن:

رابعاً: المفهوم التركيبي للفصام: The Structural Concept



الفصام هو أن تكون الشخصية متباعدة كياناتها (وأجزاؤها) بدرجة تعمق الإغتراب، مع ان هذا التباعد قد يقلل من حدة الصراع ولو مرحليا لكن التفكك يتمدى حتى تطور الواحدية فاعليتها (ما زلنا نتحدث عن الداخل). فهذا التباعد مع تجميد الصراع وتزايد التفسخ (الداخلي) يتزايد تدريجيا عادة مع تأثير مباشر وغير مباشر على نوعية السلوك ونوعية الوجود معا، وقد يظهر أثر هذا التركيب - المتباعد المجمع المتفسخ في تزايد - صريحا في السلوك

الظاهري، متباعدًا مجمداً متفسخاً وهو ما تحدد في المفهوم السلوكي، لما هو "فصام" صريح معلن، كما قد يوجد بشكل غير صريح في زميلات كلينيكية متنوعة وخاصة مجموعة كبيرة من اضطرابات الشخصية وزميلات اكلينيكية أخرى من المسماة "غير النموذجية" إذ أن أغلب الزميلات المسماة غير نموذجية إنما تشير إلى تركيب فصامي تحتها إلى حد ما، حتى يصل الأمر بالتقسيم الفرنسي إلى وضع الإكتئاب غير النموذجي والهوس غير النموذجي تحت فئة الفصام وليس تحت فئة الهوس والاكتئاب، وقد سبق أن أشرنا إلى مثل ذلك حين تحدثنا عن "الاكتئاب الطفلي النعاب Nagging" وParasytic Depression وقلنا إن سيكوباتولوجيته متعلقة بالفصام أكثر من تعلقها بالاكتئاب، وكذلك حين تحدثنا عن "الهوس النزوي المتفتر" Intermittent Impulsive Mania وقلنا نفس المقولة، وأخيرا حين تحدثنا عن حالات "البارانويا اللزجة المعتمدة Sticky Dependant Paranoid State"

وقد تصل أهمية هذا المفهوم التركيبي لدرجة تكاد تجتاح الحياة العادية عند كثير من الناس دون ظهور أعراض، في بعض الأحوال المبالغة في الاغتراب.

تعقيب وتحديث (2017):

لا يصح أن نتعامل مع هذا المفهوم على أنه مفهوم للفصام ذاته، ذلك لأنه يشير إلى تركيب داخلي نشازي يدور حول نفسه في المحل، وهو برغم تفككه فإنه يحافظ على استمراره بتوازن إمراضي غير ظاهر، لكنه يظل لا تجمعه منظومة ضامة أو فكرة محورية غائبة نامية، ويظل لا يظهر في السلوك بهذه الصورة إلا بطريق غير مباشر: مثلا بأن يحيل الصورة الإكلينيكية لاضطراب آخر (وجداني غير نموذجي مثلا أو اضطراب شخصية) وبما يتصف به هذا التركيب من نشاز واغتراب فإنه قد يقلل من حدة الصراع الداخلي لكنه يزيد من درجة التباعد والتفسخ في التركيب بما يؤدي في نفس الوقت إلى توقف في النمو، بل التراجع عنه إن أمكن.

وبالرجوع إلى فروض "حالات الوجود المتناوية" نشرة 25-6-2016 (و) نشرة 25-6-2016 2016 (و) نشرة 25-6-2016 (يمكن أن تؤكد أن التركيب التفككي في ذاته ليس تركيبا فصاميا (أو ذهانيا أو "جنونا" حيث أننا استعملنا لفظ الجنون وليس الفصام في فرض حالات الوجود المتبادلة) بل إنه تركيب تفككي مفترقى، وفي حالة تماديه إلى ما وصف به المنظور السلوكي أو حتى الدينامي للفصام فإنه يصبح كذلك.

وبألفاظ أخرى فإن المفهوم التركيبي المتفسخ الساكن نسبيا هو ما يشير إلى الفصام الكامن، أما المفهوم التركيبي النابض (بلغة الايقاعوي) فهو مازال حركية نيوروبولوجية نمائية في مفترق الطرق فحسب.

بالموضوع " Object Relation Theory فإن الفصام يعني "أن الأنا الناصر" قد نجح في الاتجاه بالوجود إلى الوراء على حساب أي نشاط واقعي ناضج

أما التحليل التفاعلاتي Transactional Analysis، فإن الفصام يعني أن حالة الأنا الطفلية هي الطاغية إلا أنها مشوشة Confused Child Ego State مع وجود بقايا الأنواع الأخرى (الفتى خاصة Adult) متفرقة ومتناثرة في الوساد الشعوري نفسه

في تنظيري اللاحق من خلال الممارسة رأيت أن أجل منظور النفسمرضية التركيبية، في المرتبة الأولى قبل وأهم من منظور النفسمرضية السببية، والتحليلية

المفهوم التركيبي للفصام The Structural Concept

الفصام هو أن تكون الشخصية متباعدة كياناتها (وأجزاؤها) بدرجة تعمق الإغتراب

هذا التباعد مع تجميد الصراع وتزايد التفسخ (الداخلي) يتزايد تدريجيا عادة مع تأثير مباشر وغير مباشر على نوعية السلوك ونوعية الوجود معا، وقد يظهر أثر هذا التركيب - المتباعد المجمع المتفسخ في تزايد - صريحا في السلوك الظاهري، متباعدًا مجمداً متفسخاً وهو ما تحدد في المفهوم السلوكي، لما هو "فصام" صريح معلن

ألفاظ أخرى فإن المفهوم
التركيبى المتفسخ الساكن
نسبياً هو ما يشير إلى الفصام
الكامن، أما المفهوم التركيبى
الناضج (بلغة الأبقاطحوي) فهو
ما زال حركية نيوروبيولوجية
نمائية في مفرق الطرق فحسب

وعداً نكمل ما تبقى عن تنويعات مفاهيم الفصام أيضاً

- [1] - المؤتمر السنوى للجمعية المصرية للطب النفسى ("التحديات فى تشخيصات الطب النفسى (Challenges In Psychiatric Diagnoses) من 15 - 17 مارس 2017.
- [2] - للأمانة ، لا بد من الاعتراف بأننى قمت بتكرار صياغة بعض الجمل فى المتن لتسهيل توصيل الرسالة دون اخلال بالمعنى أو تغيير فيه.
- [3] - Progressive teleological regression. Silvano Arieti" Interpretation of Schizophrenia" (1974). New Your Published. National Book Award in the Science category.

*** **

مؤسسة علم النفس العربى

Arab Foundation Of Psychological Sciences

<http://arabpsynet.com/>

<http://www.arabpsyfound.com/>

اصدارات مكتبية

السلسلة المكتبية " نفسانزى "

" الكتاب العربى لعلوم وطب النفس "

<http://www.arabpsynet.com/apneBooks/index.eBooks.htm>

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=16&controller=category&id_lang=3

*** **

السلسلة المكتبية " وفى انفسكم "

<http://www.arabpsynet.com/apneBooks/index.eBFiAnfosikom.htm>

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=17&controller=category&id_lang=3

*** **

السلسلة المكتبية " الراسون "

اصدار لجنة الترشيد النفسى العربى

<http://www.arabpsynet.com/TourathPsy/index.TourathPsy.htm>

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=18&controller=category&id_lang=3

*** **

سلسلة " الكتاب الابيض " للعلوم النفسى العربى

www.arabpsynet.com/WhiteBooks/eWBIndex.htm

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=32&controller=category&id_lang=3

*** **

السلسلة المكتبية " الإنسان والتطور "

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/IndexRakAr.htm>

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=20&controller=category&id_lang=3

*** **

السلسلة المكتبية " و ما سواها "

<http://www.arabpsynet.com/Samarrai/IndexSamarrai.htm>

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=19&controller=category&id_lang=3